

كورونا وانعكاساتها على الشعر العربي، نماذج مختارة Repercussions of Coronavirus Pandemic on Arabic Poetry: Selected Samples

ط. د. صفاء بوبعوي^{1*}، أ. د. عبد الغاني خشة²

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

¹ جامعة 08 ماي 1945، قالمة (الجزائر)، asalaboustani1@gmail.com

² جامعة 08 ماي 1945، قالمة (الجزائر)، Khacha.abdelghani@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2024/05/29 تاريخ القبول: 2024/07/09 تاريخ النشر: 2024/11/19

Abstract:

The present paper aimed to explore the repercussions of COVID-19 pandemic on Arabic poetry and its various impacts on different levels and domains. Additionally, we attempted to shed more light on the attitude of contemporary poets towards this pandemic based on cultural criticism and its subsequent analysis to monitor the representations of cultural patterns and unveil their manifestations in contemporary poetic discourse.

Keywords: Coronavirus, contemporary poetry, cultural criticism, cultural patterns.

ملخص البحث:

تحاول هذه الورقة البحثية الكشف عن انعكاسات (كورونا) في الشعر العربي وآثارها على مختلف الأصعدة والمستويات، فضلا عن إبراز موقف الشعراء المعاصرين من هذه الجائحة التي عصفت بجل المجتمعات في الآونة الأخيرة، وقد اعتمدنا في سبيل ذلك منهج النقد الثقافي وما يتبعه من تحليل، لرصد تمثيلات الأنساق الثقافية و للكشف عن تمظهراتها في الخطاب الشعري المعاصر.

الكلمات المفتاحية: كورونا، الشعر المعاصر، النقد الثقافي، الأنساق الثقافية.

مقدمة:

كان ولا زال الأدب في مختلف أجناسه شعرية كانت أم نثرية، ترجمان الفرد، ولسان حال المجتمع، ذلك أنه المعبر عن خصوصيته، والمخلد لأفراحه ومآسيه، والواصف لعاداته ولأنماط عيشه، بل والراصد لجملة التحولات التاريخية، الحضارية والثقافية، وحتى البيولوجية تلك التي تُعنى بالتركيبية الجينية، والوراثية لدى الأفراد والمجتمعات، فتبحث في الخصائص التي تميز جيلاً عن جيل، دارسةً بذلك التحولات التي طالت الجنس البشري، وربطها بمسببات مرضية تتقاطع لحد بعيد مع الأوبئة والفيروسات، التي ساهمت بدرجة فعالة في إحداث خلخلة في النظام البيولوجي والبيئي.

ولما كان الأدب حريصاً على احتواء مشاغل البشر ومناقشة اهتماماتهم وطرح همومهم، حدث وأن ظهر على الساحة الأدبية ما يعرف بأدب الأوبئة، هذا الأخير الذي حظي باهتمام الكثير من المبدعين ولاسيما الشعراء منهم، فتراهم يعبرون بصدق تجربتهم الشعورية عن بؤسهم وتدمرهم، عن سخطهم ومعاناتهم، عن آلامهم وفيض حسرتهم، مصورين حيثيات ذلك الصراع الذي تخلقه الأزمة في نفس المرء، فجاءت قصائدهم تقطر ألماً وتخزن فواجع وآلام الإنسانية.

من هذا المنطلق جاء موضوعنا لدراسة انعكاسات كورونا في الشعر العربي، لمعرفة كيفية تعبير الشاعر المعاصر عن تجربته الشعرية حول وباء كورونا، ومدى قدرته على توصيف وتصوير أبعاد الجائحة وكل هذا ينضوي تحت الأسئلة الآتية:

كيف تجلت الرؤية الشعرية المعاصرة لهذا الوباء؟ وهل نجح الشعراء المعاصرون في تصوير هذه الرؤية؟ وما آثارها على مختلف الأصعدة؟.

1- مرجعيات الأوبئة في الشعر العربي:

لم تكن الأوبئة وليدة اللحظة، وإنما كان لها امتداداتها وجذورها عبر التاريخ، فقد ظهرت مع ظهور الإنسان، وغيّرت مجرى التاريخ البشري، وإيماناً بحقيقة أن الأدب مرآة عاكسة للمجتمع، كان لزاماً أن يوثّق المبدعون كل لحظات الفرح والحزن التي تعيشها البشرية، منطلقين من ذواتهم منصهرين في مجتمعاتهم، وتعد الأوبئة والكوارث من الموضوعات العامة التي واكبها فن الشعر منذ فجر الخلائق، وعكست رهاب الموت والخوف والقلق، على غرار (فيروس كورونا) الذي سبب صدمة إنسانية عرت العالم وقوضت معناه.

1.1. الأوبئة في العالم العربي:

ظهرت العديد من الأوبئة والأمراض على مَرَّ العصور بمختلف أنواعها، وهددت الحياة وشلت حركتها، ومن هذه الأوبئة: «طاعون عمواس 640 م، وهو من أوائل الأوبئة التي انتشرت في المنطقة العربية ويعد أشهرها، ظهر في السنة 18 للهجرة في عهد الخليفة "عمر بن الخطاب" في بلدة "عمواس" بالقرب من القدس ومنها انتشر في منطقة الشام، وقد حصد نحو ثلاثين ألفاً من أهل الشام بينهم عدد كبير من الصحابة»¹.

كما ظهر طاعون (جيستيان) الذي كان ظهوره أول مرة في مصر والموت الأسود الذي كان يُعد «أخطر كارثة واجبتها البشرية في القرن الرابع عشر وأكثر الأوبئة فتكا وقدرة على الانتقال والانتشار، إذ انتقل بسرعة من الصين والهند وأسيا الوسطى حتى اجتاحت أوروبا وشمال إفريقيا، ظهر عام 1331 وتفشى في جل دول أوروبا»².

كذلك (الجذري)، و(السل)، وغيرهما من الأمراض التي فتكت بالبشرية جمعاء، والتي تصدى لها الإنسان متسلحا برغبة البقاء، ومعتمدا في ذلك التطورات العلمية والتكنولوجية، وقد توالى هذه الأمراض، والنكبات التي أصابت الإنسان على مر الأزمنة والعصور إلى أن ظهر سنة 2019 فيروس (كورونا) المستجد أو ما يعرف بكوفيد 19، حيث بدأ كوباء تم انتشاره في أنحاء العالم ليتحول إلى جائحة. و(كورونا) « هو مرض معد يسببه آخر فيروس، تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا، وكلمة (فيروس كورونا) أجنبية، ويشق اسم "كورونا فيروس" عربيا فيروس كورونا أجنبية اختصارا من cov باللاتينية Corona وباليونانية korné وتعني إكليل الزهور أو الإكليل، كما تعني التاج أو الهالة»³.

وفي ظل انتشار الفيروس اللعين قدمت منظمة الصحة العالمية تعريفا مبسطا لهذا الوباء عام 2020، وسبلا للوقاية منه إذ تُعرّفه بوصفه: « فصيلة من فيروسات واسعة الانتشار، حيوانية المنشأ يعرف بأنها تسبب أمراضا تتراوح ما بين نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد حدة»⁴.

والبحث عن أسباب ظهور المرض وانتشاره، وطرق الوقاية منه من اختصاص العلوم البيولوجية، لكن مجال اهتمامنا هو مدى تأثير هذه الجائحة في الحس الإبداعي العربي، وبالخصوص عند الشعراء العرب، ومدى تجاوبهم مع موجة الفيروس وقدرتهم على وصف وتسجيل وتوثيق الأحداث بطريقة فنية إبداعية لجمهور القراء.

2.1. الأوبئة في الشعر العربي:

لقد فتقت الجوائح والكوارث قريحة الشعراء المبدعين فكتبوا قصائد خرجت فلذا مبعثرة من أفئدتهم، ففي الأدب القديم نجد العديد من القصائد التي كان الوباء موضوعها، مثل قصيدة (عمر بن المظفر) المشهور بـ"ابن الورد" التي أنشأها عام 479هـ، وله رسالة بعنوان النبا عن الوباء، وهي تُعد وثيقة طبية أدبية... وفيها تحدث عن مظاهر الطاعون وأشكال الإصابة به»⁵.

وذكر "بن الورد" أن الطاعون قد ضرب بلاد الشام ومصر، واستمر لمدة خمسة وعشرون عاما كما زعم المؤرخون، ومن ذلك قوله:

ولست أخاف طاعونا كغيري فما هو خير إحدى الحسنين

فإن مت استرحت من الأعادي وإن عشت شفت أذني وعيني⁶

وقصيدة "علي الجارم" حين ضربت الكوليرا مسقط رأسه مدينة الرشيد، كتب عن حزنه وأساها مما فعله

هذا الفيروس اللعين، الذي أصاب مصر دون سابق إنذار. يقول:

أيُّ هذا (المكروب) مهلا قليلاً قد تجاوزت في سُرّك السبيل!

لست كالواو أنت كالمنجل الحصاد إن أحسنوا لك التمثيلاً

ما غلبت النفوس بالعزم لكن هكذا يغلب الكثير القليلاً

أنت في الهند في مكانٍ خصبٍ فلماذا رضى هذا المحولاً⁷

نلاحظ في هذه الأبيات استياء الشاعر من هذا الفيروس الذي انتشر من الهند ليأتي إلى مصر، التي كانت

في مأمن من الداء، فيناديه مخاطباً، وقد صورته كالمنجل في حصد الأرواح لا يرحم، ولا يشفع.

وتُعد قصيدة الكوليرا "لنازك الملائكة" من أهم القصائد التي وُلدت من رحم الألم لتعبر عن ما

عاشته أرض مصر من موت ودمار، جراء الوباء القاتل الذي ظهر عام 1947؛ ذلك أن الشاعرة عبرت عن

التفرقة والشتات والضيق، الذي عاشه المجتمع المصري بسببه وفتكه بالناس فتكا، بأسلوب ونمط كتابة مغاير لما هو معهود، فكأنما أسقطت البنية الاجتماعية على البنية الشعرية، تقول الشاعرة:

سكن الليلُ أصغٍ إلى وقعِ صدى الأتات
في عمق الظلمة على الأموات
صرخاتٌ تعلو تضطربُ
حزنٌ يتدقّقُ يلتهبُ
يتعثر فيه صدى الأتات
في كلِّ مكان روح تصرخ في الظلمات
في كل مكانٍ يبكي صوتُ
هذا ما قد مزّقه الموتُ
الموتُ الموتُ الموتُ⁸.

نجد أن الموت قد مزّق شعور الكاتبة التي أحبّت مصر، وتزودت من نبع ثقافتها، فانساب قلمها حبرا باكيا لمحاكاة الوضع الأليم، فوصفت وقع أرجل الخيل وهي تجرّ عربات الموتى، فلا شيء أمامها سوى الموت الذي يتدفق حقدا وغضبا فرائحته في كل مكان، وصرخات المرضى والألم تعلو وحزن الفقد يضطرب ويشتد في الليل، أين تسمع الآهات والأتات.

والقصائد كثيرة التي كتبت عن الأوبئة والأمراض التي هددت حياة ملايين البشر، ولا تزال تهدد العالم على الرغم من التطور العلمي والتكنولوجي في الوقاية من الأمراض، لتعبر عن هذه الظاهرة التي ألمّت بالإنسانية جمعا.

3. تمثيلات الأنساق الثقافية لجائحة كورونا في الشعر العربي:

يتكون أي نص أدبي شعريا كان أم نثريا من مجموعة من الأنساق تحوي بعدين، أحدهما ظاهرا والآخر مضمرا يتطلب قارئاً متمرسا يستطيع استكناه ما خلف السطور، باعتبار أن النسق نظام ثقافي يتضمن مجموعة من الأبعاد والإيديولوجيات والخلفيات التي تجمع بين الأفراد وأدوارهم المشتركة بصورة رمزية، وتعتبر جائحة كورونا من الموضوعات الكبرى التي تستوقف المبدع وتجعله يتماهى مع التغيرات التي تطرأ على العالم، ويجد فيها مادة خصبة للتعبير والتأريخ للظاهرة، فالأديب ابن بيئته والشاعر أكثر قدرة على استلهام الأحداث والتعامل معها بشكل سريع، وقبل أن نعرض جملة الأنساق الثقافية المتعلقة بالجائحة الثاوية في الخطاب الشعري، سنتناول مفهوم النقد الثقافي والأنساق الثقافية باعتبار أنها جزء من النقد الثقافي، وكون النقد الثقافي يهتم بدراسة الأنساق الثقافية الظاهرة والمضمرة.

1.3. مفهوم النقد الثقافي:

كي لا نغوص في متاهات التعريفات المعجمية حول هذا المصطلح أو ذاك من المصطلحات التي قد تأخذ المعنى ونقيضه، وتفاديا للتعريفات المختلفة للمصطلح الواحد حسب تعدد الدارسين والباحثين الذين غالبا ما يقدمون مصطلحات تقريبية للمصطلح المتأني من الغرب.

نحاول أن نقف على عجالة عند مصطلح "النقد الثقافي"، فما هو النقد الثقافي وما علاقته بالأنساق

الثقافية؟

يعد النقد الثقافي منهجا حديثا وشاملا لمختلف فروع الثقافة الإنسانية، وهو بذلك يحاول أن يستثمر مختلف تلك الفروع التي تحتويها الدراسات الثقافية، من علوم اجتماعية، وأنتروبولوجيا، وعلم النفس، ولسانيات، وفلسفة وعلوم الاتصال وعلوم السياسة وغيرها.

يعرفه "الغدامي" بأنه: «فرع من فروع النقد النصوي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول (الألسنية) معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي لكل تجلياته وأنماطه وصيغه»⁹.

ويشير عبد النبي أصطيف إلى أن النقد الثقافي نشاط يهدف إلى تحليل الأدب بما في ذلك الأدب الشعبي وأشكال الفن الأخرى، بما فيها الرسم والنحت والرقص والموسيقى والمسرح والفن السابع والرسوم المتحركة ضمن سياقاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية»¹⁰.

وفي ضوء ما سبق، يظهر بجلاء تنوع وشساعة ميادين النقد الثقافي، فهو منهج تحليلي وصفي يتناول مختلف الموضوعات المتعلقة بالممارسات الثقافية، وعلاقتها بمحيطها السياسي والاجتماعي والفكري، ومن ثمة فإنه يروم فهم البعد الثقافي بمختلف أشكاله المركبة والمعقدة، ويعمل بعد ذلك على تحليل السياقات الاجتماعية والسياسية والإبداعية، ولعلّ هذا المنهج ظهر على هامش مناهج حديثة سابقة من بنيوية وما بعد بنيوية، وتفكيكية، وتأويلية، ولا يقف مناهضا لها بطريقة مباشرة وإنما يحاول الوقوف عند أشكال الهيمنة في العالم المعاصر.

1.1.3. النسق الثقافي:

يعرف "تالكوت بارسونز" Talcott Parsons النسق بأنه: «نظام ينطوي على أفراد فاعلين تتحدد علاقتهم بمواقفهم وأدوارهم، التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا في إطار هذا النسق، وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي»¹¹.

ويرى الغدامي أن النسق «ذو طبيعة سردية يتحرك في حبكة متقنة، لذلك فهو خفي ومضمّر وقادر على الاختفاء دائما، ويستخدم أقنعة كثيرة أهمها قناع الجمالية اللغوية وعبر البلاغة وجمالياتها تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه المظلة الوارفة»¹².

يظهر من خلال هذين القولين أن النسق نظام ثقافي يتضمن مجموعة من الإيديولوجيات والخلفيات والمرجعيات، لأفراد تربطهم علاقات وأدوار مشتركة لها بعد رمزي مشترك، ويتطلب في قارئ الأنساق الثقافية المعرفة النقدية الكافية كشرط جوهري في عملية التأويل.

2.1.3. جائحة كورونا وحوار الأنساق الثقافية المعلنة:

مما لا شك فيه أن وباء كورونا كغيره من الأوبئة نشر الخوف والرعب في قلوب البشر، وهدد الأمن والأمان والاستقرار، وخلف الموت والدمار، فسعى العديد من الشعراء المحبوسين في بيوتهم بسبب الحجر الصحي إلى التعبير عن أزمة كورونا بصوتهم وحسهم الإبداعي، مسلطين الضوء على تبعاتها وآثارها على مختلف الأصعدة، وفي محاورتنا لبعض القصائد التي تناولت جائحة كورونا استخلصنا جملة من الأنساق الثقافية كالآتي:

أ/ النسق النفسي:

خَلَفَتْ كورونا صدمة رهيبة، وأزمات نفسية حادة في نفوس البشر مما جعل الشعراء لم يتوانوا في تقديم النصائح والتوصيات، التي تعكس رهاب الخوف والقلق من كورونا، « فالقلق كما يصوره علماء التحليل النفسي ما هو إلا نذير بأن هناك شيء ما سيحدث، من شأنه أن يهدد أمن الكائن أو يخل توازنه وطمأنينته، إنه أشبه بجرس الإنذار الذي يعد لمواجهة الخطر»¹³.

وهو ما حدث مع فيروس كورونا، الذي نشر الدُّعْر والخوف لتوقع الإصابة، وعدم ارتياح الإنسان لمصيره المجهول، فالموت يدق على الأبواب ويفتك بالإنسانية فتكا، ويكشف هشاشة الإنسان وضعفه أمام مجابهة هذا الفيروس التاجي، وعلى الرغم مما بلغه الإنسان من تطور فكري وتكنولوجي، فهناك العديد من الأشخاص ماتوا من الخوف من كورونا لا من كورونا نفسها.

وقد سببت الجائحة في ظهور اضطرابات نفسية جسدها الشعراء في نصوصهم الإبداعية بأشكال مختلفة، ومنها الشاعر التونسي "عبد العزيز الهمامي" في قصيدة بعنوان كورونا يقول:

فلتدخل بيتك لو تسمعُ

العالم موبوءٌ

وهواء الشارع يجرح

المنزل وردتك الأولى

ومكانك في الغرفة أوضحُ

كورونا العصر تُباغِتُنَا

وتُعزِّدُ تحتَ ملابسنا

فاحذرُ

أن تخرج من بيتك

أو تبرح

الموت يدُقُّ على الأبواب

فلا تفتح

وحش يتربص بالمنعطفات¹⁴

مخالبه لا تفصح

يقر الشاعر بحقيقة الوباء وواقعيته، بقوله العالم موبوء، فيقترح مجموعة من التدابير الوقائية للحد من تفشي الوباء وأهمها الحجر الصحي، الذي يعدُّ من أنجع الوسائل الاحترازية التي ينصح بها الأطباء والخبراء في العالم أجمع، كما يمارس دور الطبيب المحذر من خطر الفيروس الذي انتشر في العالم، وأحدث الرعب والخوف في النفوس، وهو ينتقل عبر الهواء ليعكر نقاءه، فلا مناص إلا بالملكوث بالبيت الذي شبهه الشاعر بالوردة التي نشم عبق ريحها الأنقى من الهواء الموبوء في الخارج.

وقد اختار الشاعر البيت كونه أنسب مكان يحميه من خطر هذا الوحش الفتاك المفترس للجحافل

البشرية.

يقول بشلارBachelardفي كتابه جماليات المكان: « البيت هو ركننا في العالم، إنه كما قيل مرارا كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى، وإذا طالعنا بألفة سيبدو أبأس بيت جميلا»¹⁵.
وفضلا عن كون البيت يمثل الحميمية والألفة، فهو وسيلة للراحة والسكينة وممارسة كل الهوايات دون قيد أو شرط.

تم ينتقل الشاعر ليقدم بعض الحلول التي تساعد في تحقيق سبل الراحة والتسلية والتي يُعد أهمها الكتابة، ففيها متعة واكتساب يقول:

اقرأ كتباً

شاهد أفلاما

واكتب ما شئت وجئت

واجعل من وقتك أغنية¹⁶

فهذه الأبيات على بساطتها إشارة من المبدع كون الكتابة وسيلته الأولى لتحليقه عاليا في سماء الإبداع، لتناسي آثار الوباء وانعكاساته على نفسيته، فالكتابة هي المتنفس الوحيد والمنقذ في هذه الفترة العصيبة، فضلا عن دعوته مشاهدة الأفلام والبعد عن كل الأسباب التي تزيد من حدة القلق والتوتر، وهو ما كان يُقال في حملات التوعية عبر منصات التواصل الاجتماعي نفسه.

بعض الشعراء سجلوا حالات الوباء بنظرة تفاؤلية، فصوروا الجانب المفعم بالتفاؤل والأمل وحاربوا التشاؤم الذي يعد -كما يرى "فرويد" في نظرية التحليل النفسي-: « القاعدة العامة للحياة لا يقوم ببذل الجهد في سبيل تحقيق أهدافه، لاعتقاده بأن الفشل سيكون حليفه في الحياة، وأن شرو الحياة تفوق السعادة السائدة فيها، وأن التشاؤم لا يقع في حياة الفرد إلا إذا تكونت لديه عقدة نفسية»¹⁷

فالعديد من الشعراء طغى التشاؤم على حالتهم الشعورية لينذروا بالخطر المحقق، وبالمقابل هناك صنف آخر من الشعراء زرعوا الأمل في نفوس أرهقها الخوف من الوباء، فالشاعر " عصمت رضوان " في ديوانه: (أوراق من خريف الوباء) يقول:

لسنا نخاف إذا ما خاف أقوام

ولن يصيب البرايا غير ما كتبت

أفق السماء لكل غيم ألم به

فقوضوا الأمر للرحمن واحترزوا

عما قريب نرى الأحزان ذاهبة

والأرض يملؤها عرس وأنغام¹⁸

فالشاعر يرى بأنه لا ضرورة للقلق والفرع من هذا البلاء الذي يهدم النفس والجسد، فهو قضاء وقدر مسطر في الألواح يصرفه الله متى يشاء، فكل مخاوف البشرية تبقى مجرد وساوس وأوهام قد تفاقم من حدة الوباء، فكم من أناس لم يموتوا من الوباء، بل ماتوا خوفا منه، وبروحه المتفائلة يرى أن هذا الوضع لا بد أن ينجلي ولا بد للغيمة أن تنقشع، وستتغير الأحوال وتمتلأ الأرض أفراحا وأنغاما، فنلمس الطاقة الإيجابية للشاعر يبعثها من ثنايا روحه عبر هذه الأسطر الشعرية، ليزرع الأمل في قلوب أرهقها التفكير في مصيرها في ظل تردي الأوضاع وتأزمها.

ب/ النسق الاجتماعي:

يمثل الأدب صورة المجتمع، ويرتبط بكل التحولات التي تطرأ عليه، والتي يجسدها الكاتب من خلال نصه الذي يعكس رؤيته الإبداعية، التي تسهم في تشكيلها عوامل مختلفة ثقافية وحضارية واجتماعية وسياسية، ولاشك أن جائحة كورونا من أبرز التحولات التي طرأت على المجتمع، وقلبت الموازين وكان لها انعكاساتها على كافة الأصعدة منها الصعيد الاجتماعي، مما جعل المبدع أو الشاعر بصورة خاصة يحوّل هذه الجائحة لحدث أدبي يثبت من خلاله رسائل مشحونة بجرعات كبيرة من الوعي لإيقاظ الناس من غفلتهم، ولتنمية الحس لديهم بخطورة الوضع القائم، فليست مهمة المبدع الوقوف على تصوير الواقع بكل دقائقه بل النفاذ إلى أغوار النفس البشرية. ومن الشعراء الذين حاولوا تجسيد الوباء في تصوراتهم الشعرية، الشاعر "نوري سراج الوائلي" في قصيدته: (كوفيد رفقا ما لسيفك ينحر) التي يصور فيها تأثير الوباء على المجتمع الإنساني، وقدرته على خلخلة الروابط الاجتماعية، فقد قلّت اللقاءات بين الأفراد وضعفت الأواصر لشدة التباعد، وتحوّل القرب الاجتماعي إلى عامل من النفور بسبب الخوف من العدوى، «أو ما باتت تسميه الأدبيات الإعلامية والسوسيولوجية بمسافة الأمان، بحيث ترافق ذلك من الانسحاب الاجتماعي من الخارج نحو الداخل، من الشارع نحو البيت ومن الآخر نحو الذات، بعدما أصبح الآخر هو الفيروس باعتباره كائنا مجهريا لا يرى بالعين المجردة»¹⁹

يقول الشاعر:

كوفيد رفقا ما لسيفك ينحر

جل الرقاب وبالقصيدة ينخر

فرقت جميع العالمين

حمر مطاردة وأنت القصور

لم يبق فنان وصاحب شهرة

أو لا عب أو واعظ أو عسكر

لم يبق ميسور ومالك سلطة

أو كاتب أو من يذيع وينشر

لاذوا لحصن كالمساق لحتفه

²⁰ أمل النجاة وفي الفؤاد الحنجر

يعيش الشاعر حالة خوف وتوجس فيجري حوارا مباشرا مع كوفيد، مشبها إياه بالجندي الذي يحمل سيفاً قاطعا يقتل ولا يبالي بقسوته وجبروته كل من يعترض طريقه، موظفا التناس في السياق الشعري من قوله تعالى: «كَانَ لَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (51)» [سورة المدثر الآية: 50-51].

فقد شبه الناس في إعراضهم عن كوفيد كحمر من حمر الوحش الفارين من الأسد القناص، وقد زاد التناس الديني في إعلاء البنية الجمالية للقصيدة مما منح النص عمقا وثراء.

فهو لا يفرق بين الغني والفقير، وبين العالم والجاهل، وبين الفنان والعادي، وبين الكبير والصغير، «فخطر الموت يتهدد الجميع على قدم المساواة، وهنا يكون الحديث عن بداية وعي إيكولوجي جديد يدمج البيئة والطبقات والفئات الاجتماعية، بحيث كل تهيمش أو إقصاء لفئة دون غيرها يهدد الجميع بالنهاية»²¹.

وحتى من لاذوا بالفرار خوفا من الفيروس خاب أملهم فالموت لاحقهم في كل مكان، وآثار الأزمة طالتهم جميعا.

ها هي الشاعرة " ليلى لعوير" في سباعيتها التي جاءت بعنوان " ما قيمة العيد؟" من الديوان المشترك الموسوم "بأشعار في زمن الحجر"، توقظ الناس من غفلتهم بكلمات حزينة تتوارى عبر ثنايا الأسطر. تقول:

الهم منتشر والقلب منكدر وعامة الناس لاحس ولا خبر
تروح تبحث في الأسواق بغيتها ما همها الموت والأوجاع والكدر
تشتري القبور جمع العاشقين جوى يدغدغ السير والغيب الذي نكروا
ما قيمة العيد إن غابت مباهجنا؟ وغيبه الحنق من في العيد تنتظر
ابنا وأختنا وآمالا معتقة فيها الرضا وجمال خانه البصر²²

فالعيد فرحة للـم الشمـل، لقاء للأهل بعد غياب، صلة للأرحام وفرصة جرت العادة على أن تتأتى كل عام، حتى باتت الزيارة والاختلاط بالأقارب طقس من طقوس المجتمعات العربية في العيد، هكذا هي الشاعرة تقول، لكن الظاهر من خلال هذه الأبيات أن الشاعرة قد تقمصت دور الناصح حتى تؤكد فكرة الحجر والعزلة الوقائية، لتطرح بدورها فكرة ضمنية مفادها؛ كيف يكون الفراق لقاءً وهل صلة الرحم وصلٌ دائم؟ فالفرد ما غاب عن أهله إلا لحمايتهم وما افترق عنهم إلا ليزيد اشتياقه لهم فما حاجتنا إذًا للقاءٍ يورث الفراق الأبدى!

وهنا نجد أن العيد قد اصطبغ بِصبغةٍ أخرى تُحتم على الجميع التـجـمل بالصبر بالتزام الحجر والترقب للوضع المضطرب كسبيل للخلاص وتخط للمنحة، فالإصرار على الفرحة والاحتفال هو محاولة لترميم الذات المتشظية، لكن هذه الرغبة في الفرح تتلاشى إذا فقدت عزيزا بسبب الطيش والجهل وألقيته ونفسك في شباك الموت، تقول الشاعرة:

يا غافلا وعبون الموت ترقبه لا تشتري الدمع فالأطفال تنتظر
لا خير في طلة الفقد سيدها والحجر منقدنا لو كنت تعتبر²³
فهذه الأبيات عبرة لمن لا يعتبر، وتحذير لمن يخاطر ولا يعي من البشر.

ج/ النسق الاقتصادي:

كشف الفيروس عن أزمة غير مسبوقة، قلبت الموازين وغيّرت خريطة العالم، فانتشر الرعب والقنوط، وتفكك النسيج العائلي وتصدعت الأنظمة التعليمية والصحية، فأزمة كورونا لا تقل شئنا عن تلك الأزمات التي توالى نكباتها على البشرية، فبجانب تأثيرات كورونا على الصحة الجسدية والنفسية، فلا يخفى الضرر الذي سببته على المستوى الاقتصادي، يقول الشاعر "سعد الدين شاهين" في قصيدته "في ختام المطاف"

كل شيء على ذمة الخوف

بوح جزاف

من يعيد الندى إلى الغيم غير اللظى

لم يعد في الخريطة مأوى ومنتجع لاصطياف

حروب وأوبئة وكورونا²⁴

وفقر مضاف

فقد تحولت كورونا إلى أزمة اقتصادية بحثة، وأصحاب الأموال وذوي النفود همهم استثمار هذه الجائحة في ما يخدم مصالحهم ولتحقيق الغاية القصوى من الأرباح، يقول الشاعر نورالدين درويش في خماسيته التي جاءت بعنوان "شكرا كورونا"

أباطرة العالم، أتعبتمونا
شربتم دمانا الحرام قرونا
سحبتم من الأرض كل جميل
وصيرتم العيش فيها مجونا
فلا الملح ملح ولا الشهد شهد
خرقتم بما تصنعون "الأوزونا"²⁵

يتضح من خلال هذه الأبيات موقف الشاعر المعاصر من القضايا الاجتماعية والظروف الطارئة التي تُحتم عليه إبداء رأيه من باب الانتماء ومن باب الالتزام أيضاً، ما جعله يُحلل الوضع الذي خلقتة جائحة الكورونا من منظور أخلاقي يتضمن عتاباً ولوماً كبيرين على سادة العالم وقادته، فالشاعر بدا ناقماً على أفعالهم الأنانية وعلى ماديّتهم المفرطة تلك التي تخدم مصالحهم ولو على حساب البشر، فكأنما الشاعر قد كتم عناءه وعذابه من جراء الجائحة واستقبلها على أنها هدية ربانية وعدالة إلهية أدبت هؤلاء الديكتاتوريين والطمغاة، يقول:

تبارك من لا يرى ويرانا
مصير تلك القصور سجونا
تموتون رعباً ولا من مغيث
فشكرا إلهي وشكرا كورونا²⁶

فكورونا جاءت في نظر الشاعر لتحد من جبروت وتسلط البشر، ولتقف أمام غاياتهم المشبوهة، فهي لا تفرق – كما اشرنا أعلاه- بين الفقير والغني وبين الجاهل والمتعلم، ولا يمكن للمال أن يشتري الصحة والعافية. ولذلك يبدي الشاعر فرحه وحمده لله تعالى على هذه النعمة التي تحولت إلى نعمة يحاسب الله تعالى بها الفجار على تسلطهم وجبروتهم، ويحد من طغيانهم في الأرض.

د/ النسق الديني:

ارتبط الوباء عبر التاريخ بالجانب الديني الأخلاقي، فقد اعتبرته جل الديانات والثقافات قضاء وقدر من الله يسلطه على من يشاء من عباده، لفجورهم وابتعادهم عن طريق الحق وانغماسهم في الملهيات والشهوات، وقد ظهر في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما جاء في الحديث الذي رواه "البخاري" عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فأخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بيته صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد»²⁷.

فالطاعون أو أي وباء آخر يُعد بمثابة تطهير لهم لمعاصيهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: الآية 30] فالمعاصي تستدعي غضب الله، ولا يرد غضبه عز وجل إلا التوبة والدعاء، والتضرع إليه والزهد في الحياة لنيل رضوانه، وعدم المؤاخذه على ما فعله السفهاء.

وهو ما نجده اليوم مع جائحة كورونا التي اعتبرها العديد من الشعراء لعنة سماوية، عقاباً لشر البرية. يقول الشاعر (نوري سراج الوائلي) في قصيدته

جنــدي لله العظيم
تختار منهم ما يشاء وتقبر

فأتاك بالأكفان جيش أبيض فيه البواسل لا تضام وتقهر²⁸.
إذ لا يرى سبيلا للخلاص، أو أملا للنجاة من هذا الفيروس الفتاك، الذي جاء كجندي من السماء بأمر من الله تعالى، وهو الذي يسلطه على من يشاء من عباده ووحده من يستطيع توقيفه، وقد أتى حاملا أكفان الموت المحتوم، فلا سبيل للخلاص منه ولا أمل في النجاة لأنه أتى بأمر الله تعالى وهو وحده من يستطيع درأه عن عباده. وهو ما ذهب إليه الشاعر (عصمت رضوان) في قصيدة بعنوان (من وحي فيروس كورونا) من ديوان (محارب الإنابة) يقول فيها:

ضاقبت بما رحبت عليك دروب وعلت بصوتك أنة ونحيب
تخشى الردى وتخاف شيئا لا يرى وجنود ربك أمرهن عجيب
من ذلك الفيروس أظلت الدنى وانقضى في أفق الحياة غروب²⁹

ففي ثنايا هذه الأبيات نستشف الخطاب الديني، في تصوير الشاعر لحالة الهلع والذعر التي خلفها فيروس كورونا، فقد ضاقت الدنيا على الناس بما رحبت، واشتد الحزن والأثين من هذا الحال الأليم، وفي ضوء ذلك يذكر الشاعر بعظمة الخالق وقدرته الإلهية التي وسعت كل شيء، فكيف يخاف الإنسان من نهايته التي هي بيد الله وحده، ومهما بلغ الإنسان بعظمته وتطوره، يبقى عاجزا أمام مقدرة الخالق التي تصنع المعجزات. فالفيروس في نظر الكثيرين لعنة إلهية سلطها الله على عباده الكفار عقابا لهم، وللمسلمين تطهيرا لذنوبهم ليرجعوا إلى طريق الحق.

وقد أبان الشاعر انعكاسات الفيروس على الواقع الديني، فقد توقف الإنسان عن ممارسة الشعائر الدينية كأداء الصلاة جماعة، وأداء المناسك، وزيارة بيت الله الحرام، وقد علقت وقلّت التجمعات خوفا من العدوى فهتت الأواصر، وضاقت الخواطر، يقول الشاعر "عصمت رضوان":

وتعطلت جمع الهدى وشعائر وارتاع شبان وفزع شيب
والطائفون عن المناسك أوقفوا خطب تكاد له القلوب تذوب
ودعا المؤذن في الرجال صلاتكم فبكت هنالك أعين وقلوب
هل جاءهم فزع القيامة عاجلا حتى يفر من الحبيب حبيب³⁰

فلا ينبغي للإنسان الضعيف إلا العودة إلى الله تعالى، بالتضرع والدعاء حتى يرفع عنه البلاء، فالشاعر يبدو حزينا مذكرا بوضع الإنسان الجديد الذي كان يعيش في نعمة سابقا لا يدرك قيمتها، وغدا محروما حتى من مصافحة صديقه، أو زيارة قريبه. يقول:

يا أيها الإنسان ضعفك ظاهر فلجأ لربك أيها المكروب
غرثك أسباب الحياة وزخرف لاه ودنيا كالسراب كذوب
وباب محراب الإنابة واسع فإليه يرجع راشد ويثوب
قد قطعت في الأرض أسباب الرجا ولكنما رب السماء مجيب
فادع السميع ليكشف البلوى عسى فرج به يأتي الكريم قريب³¹.

ويختم قصيدته بدعوة الإنسان للعودة إلى الخالق، عله يرأف بحاله ويستجيب له، فهو الكريم المجيب.

وفي المقام ذاته يعبر الشاعر السعودي "جبران سحاري" بحس إيماني عميق يملأه التفاؤل، انعكاسات كورونا على الواقع الديني وتأثيرها في وعي الإنسان، الذي أضى متمسكا بدينه مبتعدا عن الموبقات والشُرور، يقول:

شكرا كورونا لقد أظهرت مملكتي بصائب الرأي والتدبير في الدول
تجمعات الوري أضحت معطلة فلا نرى ناديا أو فعل مفتعل
عادوا إلى العزلة المثلى فكم كسبوا من الفوائد ياطوبى لمعتزل
شكرا جعلت بيوت الناس عامرة بالذكر والوعي والقرآن والنزل³²

فكورونا كانت سببا في رجوع الناس إلى طريق الله، وترك الشهوات والمغريات، وصارت القلوب عامرة بالذكر والصلاة، وممارسة العبادات.

وكما كان لكورونا تأثيرات السلبية كانت لها العديد من التأثيرات الإيجابية، فهي تُعدّ بمثابة الصفعة التي أفاقت الناس من سباتهم وغفلتهم ليعودوا إلى طريق الحق بالابتعاد عن المعاصي والتفرغ للعبادة.

4. خاتمة؛

تفاعل المبدعون والشعراء على السواء مع الأوبئة، ليكتبوا قصائد تنوعت سياقاتها التاريخية والثقافية والاجتماعية... إلخ، فقد مثلت كورونا فجيرة الداخل الإنساني الذي ابتكر الداء وعجز عن اكتشاف الوباء، ليجد أن الله له بالمرصاد، وقد برز دور الشعراء المعاصرين من خلال تمرير رسائل توعوية ووعظية للبشرية للحد من انتشار الجائحة وانعكاساتها على جميع الأصعدة، كما ركز جل الشعراء على الجانب المعتم للوباء كالبعد والنفور الاجتماعي خوفا من العدوى، فضلا عن الجانب المشرق الذي تمثل في الصحو الدينية والعودة إلى طريق الحق لدى العديد من الأشخاص، فضلا عن كون فترة الانكفاء الصحي كانت فرصة لمعرفة الذات والتعرف على هوايات مختلفة.

— أَمَاط الشعراء المعاصرون اللثام عن دناءة البشر وجبروتهم وتسلطهم وجحودهم للنعم والخيرات الكثيرة التي خصهم الله بها، فقد استساقوا الأنانية وتبنوا الشر فصافحوا الأيادي المغتصبة للإنسانية، ليبنوا حضارة زائفة قوامها الظلم واللاعقل فجاءت الجائحة لتذكرهم بتجافهم ونكرانهم.

— جاءت كورونا لتوقظ الناس من غفلتهم وتبرهن أن الإنسان كائن ضعيف، مهما بلغ من قوته وجبروته فإنه لم يستطع القضاء على فيروس لعله كان من صناعه.

5. الهوامش والإحالات:

¹ نعيم بوعموش، 2020، فيروس كورونا (كوفيد 19) في الجزائر دراسة تحليلية، مجلة التمكين الاجتماعي، جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل، ع2، مجلد 2، جوان، ص115.

² المرجع نفسه، ص116.

- ³ هاني اسماعيل رمضان وعماد عبد الباقي علي: 1969، تجليات كورونا في الشعر العربي المعاصر، دار المعرفة، ط1، بيروت، لبنان، ص497.
- ⁴ المرجع نفسه: ص116.
- ⁵ ابن الوردي زين الدين أبو جعفر عمر بن المظفر، 1969، تنمية المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، ط1، لبنان، ص497.
- ⁶ ابن الوردي، زين الدين أبو جعفر عمر بن المظفر، 1986، تنمية المختصر في أخبار البشر، ديوان ابن الوردي، دار القلم للنشر، ط1، الكويت، ص94.
- ⁷ الجارم علي: 2012، ديوان علي الجارم، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، مصر، ص597.
- ⁸ نازك الملائكة: 1997، الديوان، دار العودة، ط1، بيروت، لبنان، ص147.
- ⁹ عبد الله غدّامي: 2000، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، ص84.
- ¹⁰ عبد النبي اصطيف: ما النقد الثقافي؟ ولماذا مجلة فصول، العدد 99، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ربيع 2017، ص22.
- ¹¹ يوسف عليمات: 2004، جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ط1، الأردن، ص40.
- ¹² عبد الله الغدّامي: 2000، قراءة في الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي، ط1، لبنان، ص79.
- ¹³ الستار ابراهيم 2002، القلق قيود من الوهم مكتبة الأنجلو المصرية ط1، القاهرة ص. 80.
- ¹⁴ عبد العزيز الهمامي: 2020، مجلة الكلمة، أبريل 2020، العدد 156، تاريخ الاطلاع 2024/01/10، <http://www.alkalimah.net/Articles/Read/21166>.
- ¹⁵ غاستون باشلار: 1974، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، لبنان، ص36.
- ¹⁶ عبد العزيز الهمامي: مجلة الكلمة، المرجع السابق.
- ¹⁷ مؤيد اسماعيل جرجيس: التفاؤل والتشاؤم وعلاقتها بجودة الحياة لدى المصابين وغير المصابين بجائحة كورونا، مجلة دراسات في سيكولوجيا الانحراف، جامعة العراق، ع3، المجلد 3، ديسمبر 2022، ص416.
- ¹⁸ عصمت رضوان: 2020، أوراق من خريف الوباء، سلسلة بوح القلم العربية، ط1، مصر، ص21.
- ¹⁹ عياد أبلال: 2020، كوفيد 19 وآثارها الاجتماعية والتربوية والنفسية، كتاب جماعي، ط1، فاس، المغرب، ص16.
- ²⁰ نوري سراج الوائلي: موقع ديوان، لا يوجد تاريخ نشر، قصيدة كوفيد رفقا ما لسيفك ينحز، تاريخ الاطلاع 2024/01/10. <https://diwandb.com/poem/%D9%83%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%AF-%D8%B1%D9%81%D9%82%D8%A7-%D9%85%D8%A7-%D9%84%D8%B3%D9%8A%D9%81%D9%83-%D9%8A%D9%86%D8%AD%D8%B1.html>
- ²¹ عياد أبلال، مرجع سابق.
- ²² ليلى العوير، 2021، أشعار في زمن الحجر، ديوان مشترك، (المجلد 1) منشورات فاصلة، ط1، قسنطينة الجزائر، ص35.
- ²³ المرجع نفسه، ص35..
- ²⁴ سعد الدين شاهين، (2020). اعتقد بالماء خلف السد: <https://karamnews.com/%D9%81%D9%8A-%D8%AE%D8%AA%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B7%D8%A7%D9%81%D8%A8%D9%82%D9%84%D9%85-%D8%B3%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%B4%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%88>

²⁵ نور الدين درويش، أشعار في زمن الحجر ديوان مشترك المرجع السابق

²⁶ المرجع نفسه، ص 57

²⁷ المرجع نفسه، ص 57

²⁸ المرجع نفسه، ص 57

²⁹ نوري سراج الوائلي: موقع ديوان، المرجع السابق

³⁰ عصمت رضوان: أوراق من خريف الوباء، المرجع السابق، ص 10

³¹ المرجع نفسه، ص 10.

³² المرجع نفسه، ص 10.

6. قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب

1. هاني اسماعيل رمضان وعماد عبد الباقي علي: 1969، تجليات كورونا في الشعر العربي المعاصر، دار المعرفة، ط1، بيروت، لبنان.
2. ابن الوردي زين الدين أبو جعفر عمر بن المظفر، 1969، تنمية المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، ط1، لبنان.
3. ابن الوردي، زين الدين أبو جعفر عمر بن المظفر، 1986، تنمية المختصر في أخبار البشر، ديوان ابن الوردي، دار القلم للنشر، ط1، الكويت.
4. الجارم علي: 2012، ديوان علي الجارم، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، مصر.
5. نازك الملائكة: 1997، الديوان، دار العودة، ط1، بيروت، لبنان.
6. عبد الله غدّامي: 2000، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب.
7. عبد النبي اصطياف: ما النقد الثقافي؟ ولماذا مجلة فصول، العدد 99، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ربيع 2017.
8. يوسف عليمات: 2004، جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ط1، الأردن.
9. عبد الله الغدّامي: 2000، قراءة في الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي، ط12، لبنان.
10. الستار ابراهيم 2002، القلق قيود من الوهم مكتبة الأنجلو المصرية ط1، القاهرة.
11. غاستون باشلار: 1974، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، لبنان.
12. عياد أبلال 2020:، كوفيد 19 وأثارها الاجتماعية والتربوية والنفسية، كتاب جماعي، ط1، فاس، المغرب.
13. ليلى العوير، 2021، أشعار في زمن الحجر، ديوان مشترك، (المجلد 1) منشورات فاصلة، ط1، قسنطينة الجزائر

المجلات:

1. بوعموش، 2020، (فيروس كورونا) كوفيد (19 في الجزائر دراسة تحليلية، مجلة التمكين الاجتماعي، جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل، ع2، مجلد2، جوان.
2. مؤيد اسماعيل جرجيس: التفاؤل والتشاؤم وعلاقتها بجودة الحياة لدى المصابين وغير المصابين بجائحة كورونا، مجلة دراسات في سيكولوجيا الانحراف، جامعة العراق، ع3، المجلد 3، ديسمبر 2022.
3. عصمت رضوان: 2020، أوراق من خريف الوباء، سلسلة بوح القلم العربية، ط1، مصر.

المواقع الإلكترونية:

1. نوري سراج الوائلي: موقع ديوان، لا يوجد تاريخ نشر، قصيدة كوفيد رفقاً ما لسيفك ينحُر، تاريخ الاطلاع 2024/01/10
2. <https://diwandb.com/poem/%D9%83%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%AF-%D8%B1%D9%81%D9%82%D8%A7-%D9%85%D8%A7->

%D9%84%D8%B3%D9%8A%D9%81%D9%83-
%D9%8A%D9%86%D8%AD%D8%B1.html

3. سعد الدين شاهين ، (2020). اعتقد بالماء خلف السد:

<https://karamnews.com/%D9%81%D9%8A-%D8%AE%D8%AA%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B7%D8%A7%D9%81%D8%A8%D9%82%D9%84%D9%85-%D8%B3%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%B4%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%88>

4. عبد العزيز الهمامي: 2020، مجلة الكلمة، أبريل 2020، العدد 156، تاريخ الاطلاع 2024/01/10،
<http://www.alkalimah.net/Articles/Read/21166>